

الأساس فهي الطب النفسي الافتراضات الأساسية: الفصل الخامس:

ملف الوجدان واضطرابات العواطف (61)

ثانيا: الانفعالات العسرة: (24)

اضطرابات الوجدان (العواطف)

تُسر الاضطرابات الوجدانية: كَمياً (21)

تناقض الوجدان بداية عملية أن تكون بشرا سويا (1)

نقد مدرسة العلاقة بالموضوع

(ميلانى كلابن - فيربيرن - جانتريج)

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD25115.pdf>

بروفيسور يعقوب الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2015/01/25
السنة الثامنة - العدد: 2674



مقدمة:

يبدو أن الأحياء دون الإنسان، قبل الإنسان، تستطيع أن تعمل علاقة أسهل وأكمل بين أفراد النوع الواحد، ربما لافتقارها لدرجة الوعي التي يتميز بها الإنسان، معظم الأحياء تتم العلاقة بين أفرادها من خلال "عقل" القطيع أو: اللقاء المؤقت للتزاوج (غالبا لحفظ النوع) أو علاقة الأمومة الممتدة تلقائيا من الرحم [1]، والتساؤل الموضوعي هو:

هل تجاوز الإنسان هذه المرحلة أم تعثر فيها؟

وهل تنازل عن حقه في الانتماء إلى الوعي الجمعي؟ أم أنه عرف طريقا بديلا عن ذلك حين طور طريقه بما يتناسب مع اكتسابه وعيا أرقى، وأدوات معرفية أكثر تعقيدا وخطرا في نفس الوقت؟

تناقض الوجدان: مرحلة خاصة بالبشر على مسار النمو:

سبق أن أشرت إلى أن ما أسمته مدرسة العلاقة بالموضوع بالموضع الاكتئابي Depressive Position إنما يتميز في تنظيمه الأساسي بوجود هذا التناقض الوجداني، ليس كمظهر سلوكي أو مرضي، وإنما كطبيعة أساسية هامة على مسار النمو، ولا يحتاج الأمر إلى التذكير أن مرحلة الموضع البارنوي تتعامل مع الموضوع (الأخر) باعتباره تهديدا طول الوقت، فلا تعامل معه إلا بالكر والفر، في حين أن الموضع الأسبق، وهو الموضع الشيزيدي ليس عنده موضوع أصلا، فهو امتداد للوجود في الرحم حيث "لا موضوع"، ويمكن أن يتصف بفرط الأمان نكوصا (تحت حماية الاحتواء في الرحم)، أو بإلغاء الآخر عجزا وتوقفا عن التواصل أصلا إلا كوسائل شبه آليه بين الأفراد.

مواقع مراحل النمو

ترجع تسمية مراحل النمو عند الطفل بأسماء مرضية (أو شبه مرضية) إلى مدرسة العلاقة بالموضوع، وقد أفادتني هذه المدرسة بشكل رائع ومهم في ترتيب تفكيري التطوري الذي انتهى إلى

يبدو أن الأحياء دون الإنسان، قبل الإنسان، تستطيع أن تعمل علاقة أسهل وأكمل بين أفراد النوع الواحد

معظم الأحياء تتم العلاقة بين أفرادها من خلال "عقل" القطيع أو: اللقاء المؤقت للتزاوج (غالبا لحفظ النوع) أو علاقة الأمومة الممتدة تلقائيا من الرحم

أن مرحلة الموضع البارنوي تتعامل مع الموضوع (الأخر) باعتباره تهديدا طول الوقت، فلا تعامل معه إلا بالكر والفر

"النظرية الإيقاعية التطورية"، مع اعتراضى الشكلى من البداية على منطلقين لهذه النظرية[2]:

الأول: أنها تعزو أصل هذه المراحل بكل ثرائها وغموضها وتداخلها إلى علاقة الطفل بأمه فى السنوات الأولى من عمره، وبرغم أن هذا صحيح، إلا أن المسألة تطورت منى وأنا أبحث عن جذورها فى تاريخ التطور، حيث وجدت أن الإنسان يولد وبه تركيبة هذه المراحل فى جيناته ودناه DNA ، وأن ما يقابل المرحلة (الموقع) الشيزيدية - غالبا - هى مرحلة الأحياء أحادية الخلية والتي لا تحتاج إلى آخر للتناسل، أما المرحلة (الموقع) البارنوية فهى مرحلة الأحياء المتعددة الأنواع وبالذات فى الغابات، وهو ما كان يلزم للبقاء فيها التسلح معظم الوقت "بالكر والفر"، ثم تأتى المرحلة البشرية حين اكتسب الإنسان الوعى فتعقدت حياته، وأصبح لا يكفى لبقائه بشرا (أى لبقاء ونمو صفاته التى تميزه إنسانا مكرما مسئولا) أن ينقسم مثل الأميبا، أو أن يتقاتل طول الوقت مثل أجداده فى الغابة[3]، وذلك ان الله سبحانه أكرمه بالوعى، وحمل الأمانة، والإسهام فى تخطيط مساره ومصيره مسئولا.

الاعتراض الثانى: وهو ما لم أتوقف عنده طويلا، هو أن هذه المدرسة قامت بتسمية هذه المراحل بأسماء شبه مرضية "شيزيدى"، "بارنوى"، "إكتئابى" على التوالى، وأساس اعتراضى هو أنه ما دام كل الناس دون استثناء يمرون بهذه الأطوار، حتى لو كانوا منفصلين وعيا عن تاريخهم التطورى، وتركيبهم البيولوجى النيورونى (من وجهه نظر هذه المدرسة)، فإن تسمية المواقع حتى لو تكرر التأكيد على أنها سميت كذلك لمجرد أنها ترتبط بسمات الأمراض المقابلة، فقد رأيت أن فى ذلك تقليلا من عظمة هذه المدرسة وإدعائها، وقد حاولت منذ البداية أن اجد أسماء بديلة مثل أن أسمى الموقف الشيزيدى: "الموقف بلا موضوع"، (مع أنه يمكن أن يكون الموقف داخل الموضوع، أو ملتهم للموضوع، وهو بلا موضوع)، وأن أسمى الموقف البارنوى "موقف الكر والفر"، وكان هذا أسهل وأقرب وأقل التباسا، وأن اسمى الموقف الإكتئابى: "موقف التميز البشرى"، (وهو أصعب وأغمض) لكننى تراجع، فانا غير مقروء أصلا خاصة لأهل اللغة العلمية السائدة، فما بالك باللغة العربية فكيف أبدا بتغيير الأبجدية هكذا فأبتعد أكثر فأكثر، فأجأت هذه الخطوة حتى نستعيد ثقفتنا بلغتنا، وبموقعنا الثقافى والإبداعى بإذن الله.

تناقض الوجدان والجدل وتحمل الغموض

حين عدت اليوم إلى ما وعدت به الأسبوع الماضى من تعهد بتناول موضوع "تحمل الغموض" باعتباره الحل الإنسانى الأمثل للإنسان الناضج على مسار نموه المتصل، وجدت أن على أن افصل تفصيلا كافيا فى هذه النقطة، وكيف يتميز الإنسان بها بوجه خاص، بفضل الله، دون سائر الأحياء.

أصل التناقض الوجدانى فى السيكوپاثولوجى:

التناقض الوجدانى الذى هو عرض مهم جدا من أعراض الفصام بالذات، وهو موجود أساسا - كما أشرت سابقا - بشكل دائم وعام عند كل البشر، ولكن بدرجة موضوعية وحافزة، هو أساس جوهرى تركيبى فى ما يسمى "الموقع الإكتئابى" عند ميلانى كلاين، وهو ما وددت حالا أن أسميه "موقف التميز البشرى"، وحين قدمت الندوة العلمية لجمعية الطب النفسى التطورى وكان موضوعها هو نفس موضوع هذه النشرات الحالية، وجدت أن الحضور والمناقشين ليسوا على إمام كاف بمدرة العلاقة بالموضوع، وبالذات بالنسبة لهذه الاختلافات الأساسية التى تشمل نقدى لهذه المدرسة مع أنها نقطة انطلاقى تقريبا:

نقد ميلانى كلاين

لن أطيل فى عرض تنظير ميلانى كلاين (وجانترب كما أشرت) عن نشوء هذه المواقع من خلال نوع علاقة الطفل بأمه، فيكفينى ما أشرت إليه من افتقارها للربط بالأصل التطورى البيولوجى،

الموضع الشيزيدى ليس عنده موضوع أصلا، فهو امتداد للوجود فى الرحم حيث "لا موضوع"

أفادتنى هذه المدرسة (العلاقة بالموضوع) بشكل رائع ومهم فى ترتيبه تفكيرى التطورى الذى انتهى إلى "النظرية الإيقاعية التطورية"

وجدت أن الإنسان يولد وبه تركيبة هذه المراحل فى جيناته ودناه

ما يقابل المرحلة (الموقع) الشيزيدية - غالبا - هى مرحلة الأحياء أحادية الخلية والتي لا تحتاج إلى آخر للتناسل

أما المرحلة (الموقع) البارنوية فهى مرحلة الأحياء المتعددة الأنواع وبالذات فى الغابات، وهو ما كان يلزم للبقاء فيها التسلح معظم الوقت "بالكر والفر"

تأتى المرحلة البشرية حين اكتسب الإنسان الوعى

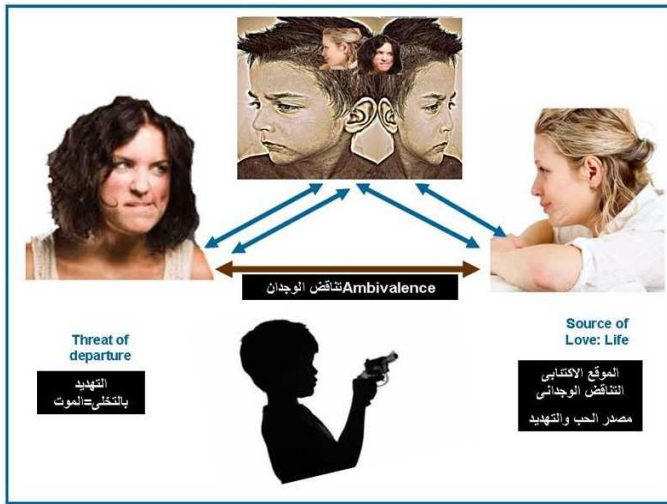
وبالحاضر البيولوجي النيوروني حالا، وسوف أكتفى بالتركيز على الموقف الإكتئابي (التميز البشري).



لم تستثمر ميلاني كلاين (ومدرستها) عمق أصل التناقض الوجداني في الموقف الإكتئابي باعتباره نقلة نوعية على مسار التطور، وقد ركزت على الذات داخل الطفل النامي بعد أن بدأ يشعر بأن الآخر ليس خطراً على طول الخط، وليس عدواً دائماً تحتاج مواجهته إلى الكر والفر طول الوقت، وإنما هو ضرورة لتواجده واستمراره، ليس فقط كمصدر حماية أو رعاية، وإنما أساساً كمصدر "اعتراف" و"مواكبة" للاستمرار إلى مستويات من الوعي أرقى وأرقى وأشمل وأرحب كما تقول طبيعة التطور.

الموقف الإكتئابي عند ميلاني كلاين، وقتل الأم:

ترى ميلاني كلاين أن الطفل بعد أن يطمئن إلى أمه المحبة يساوره تهديد باحتمال تركها له ويُعدّها عنه، وبدلاً من أن يبادلها حباً خالصاً يتوجس من غدرها حتى لو لم يكن مقصوداً، فيزداد حبه لها وتعلقه بها، وفي نفس الوقت يزداد توجسه، ومن هنا ينشأ موقف تناقض الوجدان، الذي ترى ميلاني كلاين أنه يتصاعد يتصاعد حتى لا يعود الطفل يطيقه، فيقتل أمه (في خياله: الأم الداخلية أساساً) وبالتالي يتخلص من مصدر التناقض الوجداني الذي زاد عن احتماله، ثم يكتشف أنه قتل مصدر الحب وأيضاً موضوع حبه فيشعر بالذنب، فيظهر الإكتئاب نتيجة لهذا الشعور بالذنب، ويستمر يكفر عن ذنبه بالاستغراق في العمل واكتساب القوة مع درجة متوقعة من الاغتراب.



النقد:

أولاً: حتى لو صحت كل فروض ميلاني كلاين فهذا ليس هو نهاية المطاف، لأن دورات الحياة لا تنتهي في الطفولة، وهي تتكرر في كل دورة، والمفروض أن يجد الكيان الإنساني النامي حلاً غير قتل مصدر الحب، وهكذا يبدأ نوع آخر من الألم النفسي، وهو الذي اعتبره أقرب إلى مسيرة النمو في

فتعقدت حياته، وأصبح لا يكفي لبقائه بشراً (أي لبقاء ونمو صفاته التي تميزه إنساناً مكرماً مسؤولاً) أن ينقسم مثل الأميها، أو أن يتقاتل طول الوقت مثل أجداده في الغاية

ان الله سبحانه أكرمهم بالوعي، وحمل الأمانة، والإسماء في تخطيط مساره ومصيره مسنولاً.

حاولت منذ البداية أن أجد أسماء بديلة مثل أن أسمى الموقف الشيزويدي: "الموقف بلا موضوع"، وأن أسمى الموقف البارونوي "موقف الكر والفر"، وكان هذا أسهل وأقرب وأقل التباساً، وأن أسمى الموقف الإكتئابي: "موقف التميز البشري"، (وهو أصعب وأغمض) لكنني تراجعته

أنا غير مقروء، أصلاً خاصة لأهل اللغة العلمية السائدة، فما بالك باللغة العربية فكيف أبدأ بتغيير الأبجدية هكذا فأبتعد أكثر فأكثر، فأجلبت هذه الخطوة حتى نستعيد ثقفتنا بلغتنا، وبموقعنا الثقافي والإبداعي بإذن الله.

ثانياً: هذه الدورات لا تتكرر فقط في أزمنة النمو اللاحقة وإنما هي حسب النظرية التطورية تتكرر مع كل نبضة للإيقاع الحيوي بما في ذلك النبض الحيوي أثناء النوم من خلال النوم النقيضي لإعادة تشكيل الدماغ والمعلومات جميعاً.



ثالثاً: إن الإكتئاب في هذا الموقف -إن- هو المصاحب الطبيعي للتناقض الوجداني (وهو المعبر عن جدل العقول التطورية في نفس الوقت) وبالتالي فإنه يعلن آلام النمو، ولما كان الإنسان يتمتع بالوعي وكذلك الوعي بالوعي فعليه أن يعايش هذه الآلام، ولما كان هذا في ذاته قد حملته الأمانة، فهو يجد أن عليه أن يواصل مسيرته متألماً نابضاً، ومن ثم يكون الإكتئاب هنا علامة على استمرار النضج وليس نتيجة للشعور بالذنب، فإذا ظهر شعور بالذنب فله تفسيرات أخرى تتعلق بالزمن والتوقيت والأهداف المتوسطة وطبيعة الجدل وتناسب حفز الإكتئاب مع الاتساع الناتج لمساحة الوعي وانتقاله من الوعي الشخصي إلى الوعي البيئي الشخصي، إلى الوعي الجمعي، إلى الوعي الكوني، مما سنعود إليه لاحقاً

من كل ذلك نخلص إلى تحديد ما يميز هذا الموقف الاكتئابي (موقف التميز البشري) بما يلي:

موقف التميز البشري:

(الشهير بالموضع الاكتئابي Depressive Position)

هو موقف يضع الإنسان على قمة هرم الحياة التي نعرفها، إذ يعلن أن الإنسان لا يكون إنساناً إلا في وجوده مع، إنسان آخر، ويكون هذا الإنسان الآخر، هو مصدر الاعتراف به، وهو مرصده وفائه،

وهنا يبدأ التميز البشري في فرض صعوباته الرائعة.

لما كان الإنسان قد اكتسب الوعي، ثم الوعي بالوعي كما قلنا، فقد أدرك أن ثم "آخر" هو ضروري لأنسنته، (الاعتراف به بشراً)

الآخر الحقيقي هو مصدر الحياة الأرقى بموقفه هذا الذي يسمى **أحيانا: الحب**،

• ثم يكتشف الإنسان في منطقة ما من مناطق وعيه، (مع اختلاف حول سن اكتشافه من 1 إلى 3 سنوات) أن هذا الآخر الذي هو مصدر هذا الحب (الحياة كإنسان)، هو هو أيضاً مصدر التهديد بالترك، بالهجر، بالإهلاك.

• هكذا يقفز الحذر من هذا المحب الموضوعي فعلاً = مصدر الحياة والأنسنة

• وهو لا يستطيع إلغائه، (بالقتل مثلما قالت ميلاني كلاين) فهو مصدر الحياة،

• كما أنه لا يستطيع أن ينكر التهديد بالترك برغم ضرورة العلاقة،

• **فينشأ التناقض الوجداني!!! Ambivalence**

أنا لا أستطيع الاستغناء عنه أو عن من هو مثله

حتى لو صحت كل فروض ميلاني كلاين فهذا ليس هو نهاية المطاف، لأن دورات الحياة لا تنتهي في الطفولة، وهي تتكرر في كل دورة

المفروض أن يجد الكيان الإنساني النامي خلا غير قتل مصدر الحب، وهكذا يبدأ نوع آخر من الألم النفسي، وهو الذي أعتبره أقرب إلى مسيرة النمو في الأحوال السليمة المناسبة

إن الإكتئاب في هذا الموقف -إن- هو المصاحب الطبيعي للتناقض الوجداني (وهو المعبر عن جدل العقول التطورية في نفس الوقت) وبالتالي فإنه يعلن آلام النمو

من ثم يكون الإكتئاب هنا علامة على استمرار النضج وليس نتيجة للشعور بالذنب

موقف التميز البشري هو موقف يضع الإنسان على قمة هرم الحياة التي نعرفها، إذ يعلن أن الإنسان لا يكون إنساناً إلا في وجوده مع،

أنا على يقين - فى نفس الوقت - من أنه قد يتركنى
أنا سوف أتألم حين يتركنى، بل إننى متألم الآن لمجرد التفكير فى هذا الاحتمال
أنا لن أتركه
أنا لن أتركه يتركنى
أنا أحبه
أنا أمارس معه نفس الدور تماما

هو يحبنى
هو يمارس معى نفس الدور تماما
كيف أحتفظ بهذا وذاك الآن هنا معا
هذا مؤلم جدا،
لكنه بشرى جدا

ويزداد التناقض الوجدانى!!! **Ambivalence**

- ما أنا فيه من ألم وحيرة هو ، أفضل من العودة إلى الكر والفر
- وأفضل من الكذب بإسقاط آخر من داخلى بالمواصفات التى لا تهددنى على هذا الشيء خارجى.

- وأفضل من العودة إلى قوقعتى لاغيا كل آخر
- يا لروعة الألم الحب الرؤية الاستمرار
- يا لفخرى بى ساعيا، فرحا، متألما
- لكى أكون إنسانا لا أملك إلا أن أواصل:

ويستمر التناقض الوجدانى!!! **Ambivalence** ، وقود الجدل الخلاق، ومبرر الاعتراف
بفضل الجهل المعرفى، وحافز السعى نحو خوض الغيب والإبداع دون إعاقة أو اختزال.

[1] - هذه العلاقة الأخيرة نبهتني لها الزميلة الفاضلة د. ماجدة صالح أثناء المناقشة بعد ندوة جميعية الطب النفسى التطور يناير 2015، فى نفس الموضوع ، وقد شكرتها وأضفتها هنا فى المتن، ثم تساءلت عن سبب إغفالى لها فوجدت احتمال أننى اعتبرتها امتدادا للوجود داخل الرحم، مع أن الموقف الشيزيدى يعتبر كذلك بشكل أو بآخر، لكنه علاقة اللاعلاقة، ثم فكرت أنه لكى تكون علاقة بالمعنى البشرى الذى يعلنه ويؤكد الموقف الاككتابى أكثر من البارنوى، لا بد أن تكون بين اثنين وليست امتدادا من طرف واحد، ومع ذلك فهى علاقة.

أكرر شكرى للزميلة الفاضلة.

[2] - ابتداء من هنا سوف أكتفى بذكر ميلانى كلاين باعتبارها أهم مؤسسى هذه المدرسة، وأنا أعنى معها كلا من فيربيرن، وجانترب، مع أننى لم أتعرف على هذه المدرسة بحقها إلا من خلال هذا الأخير عبر كتابه: Schizoid Phenomenon Object Relations And The Self. 1992. وهذا بديلا عن ذكر "مدرسة العلاقة بالموضوع" كل مرة، خاصة أن ترجمة كلمة Object إلى موضوع فيها ليس شديد لمن يقرأ العربية فقط، حيث المراد أساسا بالموضوع هو "الأخر"، والآخر الإنسانى بالذات، فى حين أن كلمة الموضوع بالعربية تعنى أى موضوع ، ونادرا ما تعنى الإنسان الآخر، لكن ما باليد حيلة ، ولو مرحليا.

[3] - وإن كان هذا يبدو أنه هو ما آل إليه الإنسان مؤخرا، أو على الأقل يهدد بقاء بالحروب الصغيرة والكبيرة الممتدة عبر العالم.

إنسان آخر، ويكون هذا
الإنسان الآخر، هو مصدر
الاعتراض به، وهو
مرصده وفأنه

لما كان الإنسان قد اكتسب
الوعى، ثم الوعى بالوعى كما
قلنا، فقد أدرك أن ثم
"آخر" هو ضرورى
لأنسنة، (الاعتراض به
بشرا)

- ما أنا فيه من ألم وحيرة هو ، أفضل من العودة إلى الكر والفر
- وأفضل من الكذب بإسقاط آخر من داخلى بالمواصفات التى لا تهددنى على هذا الشيء خارجى.
- وأفضل من العودة إلى قوقعتى لاغيا كل آخر

أن ترجمة كلمة Object

إلى موضوع فيها ليس شديد لمن يقرأ العربية فقط، حيث المراد أساسا بالموضوع هو "الأخر"، والآخر الإنسانى بالذات، فى حين أن كلمة الموضوع بالعربية تعنى أى موضوع ، ونادرا ما تعنى الإنسان الآخر، لكن ما باليد حيلة ، ولو مرحليا

كامل نشرات " الإنسان و التطور " (اليومية) على الويب

<http://www.rakhawy.org>

www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm

*** **

خريف / شتاء 2014/2013

الإدراك

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter14.pdf>

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter14.exe>

خريف / شتاء 2013/2012

" في تجليات ما هو الموت "

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookAutumn&Winter13.exe

ربيع - صيف 2012

... قراءة من منظور تطوري " الفضاء "

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookSpring&Summer12.exe

اصدار شتاء 2012

عندما يتعمق في الإنسان

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.exe

شبكة العلوم النفسية العربية

دعوة للمساهمة في التعريف بهذا المشروع العلمني الأكايمي

نأمل من الاساتذة الكرام التعريف بالشبكة في مؤسساتهم الجامعية و الاستشفائية

من خلال توزيع " اللوحة الاشهارية " التالية او ادراجها ضمن معلقات مؤسساتهم العلمية او الاستشفائية



www.arabpsynet.com/Documents/PubAPN.pdf